والخلاف بين الفئتين لم يصل حـــد الصراع (فبريطانية تطعن بتمثيـــل المؤتمر الثالث للشعب رغم اعتدالمقرراته ص ١٦٥ ، والدعايتان المناوئة للصهيونية والمناوئة لبريطانية كانتا تسيران في خطين متوازيين (ص ١٤٩) ، والوفـــد الفلسطيني الاول الى لندن يشرح لوزير المستعمرات الرقابة الشعبية الملتزم بها (ص ١٨٤) ، وينتقـــد موقف رئيس البلدية في حضوره حفل تدشين الجامعة العبرية(ص ٢٢٤) ويقابل وزير المستعمرات وفد مشترك من كل الجماعات (ص٢٢٥) ٠ بل ويورد المؤلف في ص١٨٧ انه حين فقد الفلسطينيون اي امـــل بالظفر باي كسب حاســـم عن طريق الجهود الدبلوماسية اصبح تنسيق وتعاون بين القيادة الوطنيـــة والنشاطات السياسية في المناطق الريفية (ص ١٨٧)، ولكنه يخرج بهذه النتيجة (ص ٢١٥) ٠ ان القيادة رفضت ان تلزم نفسها باي اطار قد يفسر ضمنا انه موافقة على تصريح بلفور ولكنهم رفضوا ان يشجعوا قيام اي حركة ثورية ضد التحالف الانجلو صهيوني ولعل ذلك يعزى الى الرهبة من القوة العسكرية البريطانية او الى انها شعرت ان انشاء الوطن القومي أمر مفروغ منه ٠ لم يفض الفشل في التمسك باطار ثوري الى ظهـــور قيادة ثورية منبثقـــة من صفوف الوطنيين من مثقفي الطبقة الوسطى ، فتركت الطبقات الادنى وهي الـــتي تكمن لديها الرغبة والمصلحة في الثورة دون قيادة ٠

في اواخر هذه المرحلة (١٩٢٨) ازدادت القناعة باستبعاد حدوث اي تغييـــر جذري في السياسة البريطانية في فلسطين خلال المستقبل المنظور ، وادرك الجميع ان الطريقة الوحيدة لمقاومة هذه السياسة انما هو معارضة الانتداب البريطاني كمجموع، ونتيجة هذا التحول السياسي الذي اضطرت اليه زعـامة الحركة كارهة ـ كما يقول المؤلف ص ١٩٩ ـ وجدت مدرستان فكريتان احداهمـــا تدعو الى المقـــاومة السلبية غير العنيفة ، والاخرى قوى متحركة فاعلة تدعوالى انتهاج اساليب ثورية ، عوضـــا عن التطور السلمي التدريجي وحاول الانتـــداب تعزيز قوة العناصر الاكثـــر ميلا للتعاون (حزب ال النشاشيبي) ، ولم يكن ظهورهـــا بدافع من الاعتبارات السياسية وحسب بل ينبثق من العداوات العائلية البالغة الحدة والتي تعود الى اجيال بعيـــدة زادتها حدة السياسات الاستغمارية التقليدية الحريصة علىايجاد توازن بين العائلات المتنافسة ٠ وبدت اللجنة التنفيذية ، قياسا ، اكثر تطرفا وثورية وعجزت عن الحيلولة دون العنف في احداث ١٩٢٩ ٠ بل وادرك المندوب السامي التغير الجذري الوشيـــك الوقوع في نظرة الفلسطينيين السياسية ، فلم تعد الاستراتيجية السياسية الفلسطينية مقتصرة على مقاومة الاستعمـــار اليهودي بل غدت تهـــدف الى الاستقلال الوطني والتخلص من الحكم البريطاني ص ٢٥١ ، ويقف المؤلف طويلا عند النتائج التـــي تمخضت عنها احداث ١٩٢٩ و ١٩٣٠ وقبل الانتقال الى المرحلة الثالثة « ان المعارضة بدأت همسا وانتهت بمعارضة عنيفة للشراكة الانغلو صهيونية ارتكزت الى شعبيـــة عميقة ميالة الى شن صراع مسلح كوسيلة لاحداث تغيير في السياسات البريطانية الموالية للصهيونية فيفلسطين،فبعد هذه الحقبة تطور الصراع العربي ضد الصهيونية الى مجابهة بين الفلسطينيين العرب وحكومة الانتداب والصهيونية في ان واحد ٠٠٠ لقد اصبح حديث الطبقات ان قيام اضطرابات عامـــة هي الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد ٠٠٠ »

وترسم رسالة مكدونالد (الكتاب الاسود) ١٩٣٠ بدايـة المرحلة الثالثة حيث فتـح الطريق امام قوتين سياسيتين كانتا قد بدأتا باكتساب قدر اكبر من الاهميـة وعنصر المبادرة قوة المجلس الاسلامي الاعلى بزعامة الحـــاج امين الحسيني ، والتي كانت تعوض احلام الحكم الذاتي (ص ٢٢٦) والتي تجـاوزت حدود الدوائر الدينية ، وقوة التيار المتطرف من القوميين العرب (حزب الاستقلال) (ص ٢٦٤) ، واكرهت العناصر